

قواعد الترجيح بالسياق عند سيد قطب: نماذج تطبيقية

[THE PRINCIPLES OF CONTEXTUAL PREFERENCE (TARJĪH) IN THE INTERPRETATION OF SAYYID QUTB: APPLIED ANALYTICAL MODELS]

BASIM SALIH AL-HABSHI^{1*}, WALID AHMAD ZIYAD¹ & ASHRAF SALIM DA'KIK¹

^{1*} University of the Holy Quran and Islamic Sciences, Al Mukalla, Yemen.
Correspondent Email: 11basem1980@gmail.com

Received: 24 March 2025

Accepted: 29 June 2025

Published: 06 August 2025

Abstract: The science of Tafsir (Quranic interpretation) is one of the most honorable and esteemed sciences, as it enables the understanding of Allah's words, derives meanings, and illuminates paths to grasp the divine intent. The scholars of the Ummah have exerted tremendous effort in interpreting the Quran, forming diverse schools of thought and approaches, leading to the necessity of establishing scientific principles that regulate the process of Tafsir and assist in determining the most accurate meanings when multiple opinions exist. From this perspective, the science of Rules of Preference emerged as one of the most significant tools for evaluating and distinguishing between interpretative opinions. The exegete relies on well-established scientific foundations to select the preferred interpretation that is supported by evidence and strengthened by linguistic and Islamic legal reasoning. While examining the book *In the Shade of the Quran* by Sayyid Qutb, we noticed his frequent presentation of multiple interpretations for a single verse, raising methodological questions about how he determined preference among them and the criteria he used for his choices. Thus, this research aims to shed light on the rules of preference in *In the Shade of the Quran*, exploring their impact on guiding interpretative meaning through various applied examples. I ask Allah to make this work sincerely for His sake and beneficial to researchers and students of knowledge, for He is the One who grants success and has power over all things.

Key words: Tafsir, Rules of Preference, Zilal al-Qur'an

ملخص : فإنَّ علم التفسير من أشرف العلوم وأعظمها منزلة، إذ به يفهم كلام الله تعالى، وتُستنبط معانيه، وتُستضاء به السبل لمعرفة مراد الحق سبحانه وتعالى، وقد بذل علماء الأمة جهداً عظيماً في تفسير القرآن الكريم، وتنوعت مدارسهم واتجاهاتهم، حتى نشأت الحاجة إلى وضع قواعد علمية تضبط عملية التفسير، وتعين على ترجيح المعاني الصحيحة عند تعدد الآراء واختلاف الأنظار. ومن هنا برز علم قواعد الترجيح كأحد أبرز وسائل التقويم والتمييز بين الأقوال التفسيرية، حيث يقوم المفسر بالاعتماد على أصول علمية راسخة لاختيار القول الراجح الذي تؤيده الأدلة ويقويه النظر الشرعي واللغوي، وقد لاحظنا أثناء تتبعنا لكتاب في ظلال القرآن لسيد قطب -رحمه الله تعالى-، وكثرة إيرادهِ للأقوال المتعددة في تفسير الآية الواحدة، مما يثير تساؤلات منهجية حول كيفية الترجيح بينها، وعلى أي ضوابط وأسس اعتمد سيد قطب ترجيحاته، ومن هذا المنطلق جاء هذا البحث ليُسلط الضوء على قواعد الترجيح في تفسير في ظلال القرآن، ويستعرض أثرها في توجيه المعنى التفسيري عبر نماذج تطبيقية متنوعة، ونسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به الباحثين وطلاب العلم، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

الكلمات المفتاحية: التفسير، قواعد الترجيح، في ظلال القرآن.

Cite This Article:

Basim Salih Al-Habshi, Walid Ahmad Ziyad & Ashraf Salim Da'kik. 2025. Qawa'id al-Tarjih bi al-Siyah 'inda Sayyid Qutub: Namazij Tatbiqiyyah [The Principles of Contextual Preference (Tarjih) in The Interpretation of Sayyid Qutb: Applied Analytical Models]. *International Journal of Advanced Research in Islamic Studies and Education (ARISE)*, 5(3), 64-87.

مفهوم قواعد الترجيح في علم التفسير

يُعد علم التفسير من أشرف العلوم الإسلامية؛ إذ يتعلق بكلام الله تعالى، ويهدف إلى بيان معانيه وتوضيح مراد الله من خطابه. ولما كان المفسرون يختلفون أحياناً في تفسير الآيات، نشأت الحاجة إلى قواعد منهجية يُرجح بها أحد الأقوال على غيره، وهو ما يُعرف بـ "قواعد الترجيح"، وهذه القواعد تعد من وسائل ترجيح أحد المعاني المحتملة عند تعدد الأقوال، مما يساعد في الوصول إلى التفسير الأقرب للصواب.

أولاً: تعريف الترجيح بالسياق

الترجيح لغة: من "رَجَّحَ" الشيء إذا جعل له ميزة على غيره. واصطلاحاً: هو "اختيار أحد الأقوال أو المعاني المتعارضة لما يعتريه من قوة دليل أو جهة نظر تُقدّمه على غيره" (al-Zarkashi, t.th). أما قواعد الترجيح في التفسير فهي: "مجموعة من الضوابط والأسس المنهجية التي يُبنى عليها تقديم قول تفسيري على غيره عند وجود أقوال متعددة في تفسير آية ما، سواء كانت الأقوال منقولة أو اجتهادية" (al-Dayah, 1993).

ثانياً: السياق لغة:

السياق: ككتاب: المهر، والاسم: السوق وأصل السياق: سواق، قلبت الواو ياء لكسرة السين. والسياق والسواق: مصدران من ساق، وهذا ما جعل ابن فارس يفسر السياق بالحدو (al-Zabidi, t.th)، فقال: السين والواو والقاف: أصل واحد، وهو حدوا الشيء، يقال: ساقه يسوقه سوقاً. والسيقة: ما استيق من الدواب... والسوق مشتقة من هذا، لما يساق إليها من كل شيء، والساق للإنسان وغيره، والجمع سوق، إنما سميت بذلك لأن الماشي ينساق عليها (Ibrahim Mustafa et al., t.th).

ويقال: فلان في السياق: أي في النَّزْع، ويبدو أن تسمية الموت (سياق) ناشئة من حال مفارقة الروح للجسد وقت الموت (al-Jawhari, t.th)، وهذا ما صرح به المناوي بقوله: "السياق: سوق الروح من أرجاء البدن إلى الخروج منه" (al-Mannawi, 1410).

السياق القرآني اصطلاحاً:

بعد قراءة واسعة في الكتب والمؤلفات والرسائل التي اعتنت بتناول هذا الموضوع تبين للباحث أنه: لا يوجد تعريف اصطلاحى واضح يمكن نسبته لإمام معتبر في هذا الباب، ولكن هناك جهود متفرقة وقف عليها الباحث وتوصل من خلالها إلى استعمالات السياق في المعاني التالية:

الأول: الأغراض والمقاصد التي بني عليها النص.

الثاني: النظم والأسلوب القرآني المؤلف من مجموع الكلام والتعبير فيه.

الثالث: الأسباب والأحوال التي نزلت فيها الآية، والمخاطبون بها.

وقد أبرز المفسرون والعلماء أهمية السياق في فهم دلالة النص، وترجيح التأويلات، يقول ابن قيم الجوزية: "السياق يرشد إلى تبين المجمل وتعيين المحتمل والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم" (Ibn Qayyim al-Jawziyyah, t.th).

وفي سياق حديثه عن ضروب التفسير وأنواعه، أشار العز بن عبد السلام إلى النوع الذي يكون للسياق دور بارز في توجيهه، فقال: "وقد يتردد أي معنى الآية بين محامل كثيرة يتساوى بعضها مع بعض، ويترجح بعضها على بعض، وأولى الأقوال ما دل عليه الكتاب في موضع آخر أو السنة، أو إجماع الأمة، أو سياق الكلام، وإذا احتمل الكلام معنيين، وكان حمله على أحدهما أوضح وأشد موافقة للسياق كان الحمل عليه أولى" (al-'Iz 'Abd al-Salam, t.th)، إن السياق هاد إلى اختيار المعنى المراد من الكلمة بحسب موضعها الملائم لموضوع النص (al-Maydani, 1989)، لقد أصبح مبدأ مراعاة السياق شرطاً أساسياً في فهم الخطاب القرآني، غير أن ما نود التذكير به، هنا، هو أن السياق لا يقوم بالوظيفة التفسيرية فقط، وإنما يتعداها إلى وظيفة أخرى تختص بترجيح معنى معين على ما سواه، وتقوية دلالة مخصوصة على حساب دلالات مرجوحة، ورفع الاحتمالات بتأكيد احتمال واحد قوي لقوة مرتكزة السياقي.

ثانياً: نشأة قواعد الترجيح وتطورها

نشأت قواعد الترجيح منذ بداية اختلاف المفسرين، لكنها لم تكن مدونة في البداية بشكل مستقل، بل كانت مبنوثة ضمن كتب التفسير والعلوم الشرعية الأخرى. ومع تطور العلوم الإسلامية، بدأ العلماء بجمعها وتصنيفها، حتى أصبحت علماً قائماً بذاته ضمن مباحث علوم القرآن (al-Shanqiti, 1995).

ثالثاً: أهمية قواعد الترجيح في التفسير

إن قواعد الترجيح في علم التفسير تمثل أداة ضرورية لضبط الاجتهاد التفسيري، وهي تعكس الجهد العلمي العميق الذي بذله العلماء للوصول إلى الفهم الصحيح لكلام الله تعالى، ومن المهم لطالب العلم أن يعي هذه القواعد ويُدرّب نفسه على تطبيقها في دراسته للقرآن الكريم، وتبرز أهمية قواعد الترجيح في النقاط التالية:

1. تحقيق الانضباط العلمي في تناول الخلافات التفسيرية.
2. تقوية المنهج النقدي عند المفسر، وتجنّب التسرع في تبني أحد الأقوال.
3. الإسهام في بناء تفسير علمي راجح ومبني على أسس منهجية.

رابعاً: أمثلة على قواعد الترجيح في علم التفسير:

فيما يلي نماذج سنعرض بعض القواعد التي اعتمدها المفسرون في الترجيح:

- الترجيح بدلالة السياق: أي أن يُرجّح المعنى الذي يتناسب مع سياق الآية.
- الترجيح بالأثر الصحيح: تقديم القول المعتمد على حديث صحيح أو أثر عن الصحابة.
- الترجيح بسلامة المعنى: يُقدّم القول الذي لا يُفضي إلى إشكال في العقيدة أو اللغة الترجيح بموافقة قواعد اللغة العربية: تقديم القول الذي يوافق القواعد النحوية والبلاغية (Ibn Taymiyyah, 1980).

خامساً: ضوابط العمل بقواعد الترجيح

ينبغي على المفسر مراعاة الأمور التالية عند استخدام قواعد الترجيح:

1. التحقق من ثبوت الأقوال المختلف فيها.
2. الاطلاع على سياق الآية وما قبلها وما بعدها.
3. مراعاة مقاصد الشريعة واللغة العربية.
4. الابتعاد عن الهوى أو التعصب المذهبي.

أثر الالتزام بقواعد الترجيح على الفهم الصحيح عند سيد قطب

تُعدّ قواعد الترجيح من أهم أدوات المفسر في الترجيح بين الأقوال المختلفة عند تفسير الآيات القرآنية، وهي ضمانة لفهم النصوص على الوجه الصحيح، خصوصًا حين تتعدد الأقوال أو تتعارض الظواهر (al-Zarkashi, t.th). وسيد قطب، رحمه الله تعالى، في تفسيره الشهير "في ظلال القرآن"، وإن كان يميل إلى الطابع الأدبي والدعوي، إلا أن له وقفات تفسيرية تدل على وعيه بأهمية هذه القواعد، وإن لم يكن ذلك بشكل منهجي صريح دائمًا.

أولاً:

ملامح الالتزام بقواعد الترجيح في "الظلال" رغم أن "في ظلال القرآن" ليس تفسيرًا تقليديًا يعتمد المنهج الفقهي أو الأثري الصرف، إلا أن سيد قطب يظهر في كثير من المواضع التزامًا واضحًا بعدة قواعد ترجيحية، منها:

1. الترجيح بالسياق: ويُعد من أكثر القواعد التي اعتمدها سيد قطب في تفسيره، حيث يربط بين الآية وسياق السورة، والجو العام للخطاب (al-Shatibi, 1997)، مثال: في تفسيره لسورة الأنفال، يربط بين القتال وتشريع الجهاد والهدف التربوي المرتبط به، مما يوجه فهم النص نحو معاني أوسع من ظاهر اللفظ فقط (Sayyid Qutub, 1412).
2. الترجيح بالقرائن الداخلية (القرآن يفسر بعضه بعضًا): اعتمد سيد قطب في عدة مواضع على آيات أخرى لفهم المعنى المراد، مستندًا بالقرآن على القرآن (Abd al-Karim al-Namlah, t.th)، كقوله في تفسير بعض الآيات المتعلقة بالجزاء الأخروي.
3. الترجيح باعتبارات فكرية وتربوية: وهذا من سمات تفسيره، حيث يقدم المعنى الذي يخدم مقصده التربوي والفكري، وهو ما يُعدّ عند بعض الباحثين خروجًا عن بعض قواعد الترجيح، لكنه يراه التزامًا بالمعنى الأوسع للرسالة القرآنية (al-Rumi, 1418).

ثانياً:

أثر الالتزام بهذه القواعد على الفهم الصحيح أدى التزام سيد قطب بهذه القواعد إلى عدة نتائج مهمة:

- تحقيق التوازن بين المعنى اللغوي والمعنى المقصدي: فقد كان يوازن بين المعاني الحرفية والدلالات العميقة للنصوص، ما يجعل تفسيره قريبًا إلى روح النص القرآني (Ibn Taymiyyah, 1980).

- تفادي الغلو في التأويل: رغم أنه في بعض المواضع فسّر تفسيراً موجّهاً بأفكاره الخاصة، إلا أن التزامه بالسياق والنص قلل من الوقوع في الانحراف التفسيري (Sayyid Qutub, 1412).
- تحقيق فهم واقعي معاصر للنص: ساعده استخدام قواعد الترجيح، خاصة السياق، على تقديم تفسير يناسب قضايا الإنسان المعاصر، مع الحفاظ على أصالة النص (al-Harbi, 2008).

نماذج تطبيقية في قواعد الترجيح بالسياق عند سيد قطب:

نشأت الحاجة إلى قواعد منهجية يُرجّح بها أحد الأقوال على غيره، وهو ما يُعرف بـ "قواعد الترجيح". وهذه القواعد تعد من وسائل ترجيح أحد المعاني المحتملة عند تعدد الأقوال، مما يساعد في الوصول إلى التفسير الأقرب للصواب.

النموذج الأول: الترجيح بدلالة سياق القصة:

الترجيح بدلالة سياق القصة هو منهج أصولي يُستخدم في تفسير النصوص القرآنية، حيث يتم الاعتماد على السياق العام للقصة لفهم المعاني المحتملة وترجيح أحدها عند وجود أكثر من تفسير ممكن. هذا الأسلوب يُعدّ من الأدوات المهمة في علم التفسير والفقه، إذ يساعد في ضبط المعاني وتحديد المراد الحقيقي من النصوص، خاصة عندما تكون هناك احتمالات متعددة للتأويل.

يُعدّ السياق معياراً مهماً لفهم النصوص الشرعية وضبط التأويلات المختلفة، بالإضافة إلى ذلك، هناك قواعد ترجيحية متعلقة بدلالة السياق في القرآن الكريم، والتي تساعد في الوصول إلى المعاني الدقيقة للنصوص وتجنب الأخطاء التفسيرية. ومن أمثلته قال تعالى: (إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ 36: (al-Qur'an, Yassin, 25) 25)

يقول سيد- رحمه الله: "وهكذا ألقى بكلمة الإيمان الواثقة المطمئنة. وأشهدهم عليها. وهو يوحي إليهم أن يقولوها كما قالها. أو أنه لا يبالي بهم ماذا يقولون! ويوحي سياق القصة بعد ذلك أنهم لم يمهلهو أن قتلوه. وإن كان لا يذكر شيئاً من هذا صراحة. إنما يسدل الستار على الدنيا وما فيها، وعلى القوم وما هم فيه ويرفعه لنرى هذا الشهيد الذي جهر بكلمة الحق، متبعاً صوت الفطرة، وقذف بها في وجوه من يملكون التهديد والتنكيل، نراه في العالم الآخر. ونطلع على ما ادخر الله له من كرامة، تليق بمقام المؤمن الشجاع المخلص الشهيد: (قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ 26) (al-Qur'an, Yassin, 36:26)، وتتصل الحياة الدنيا بالحياة الآخرة، ونرى الموت نقلة من عالم الفناء إلى عالم البقاء، وخطوة يخلص بها المؤمن من ضيق الأرض إلى سعة الجنة، ومن تطاول الباطل إلى طمأنينة الحق. ومن تهديد البغي إلى سلام النعيم. ومن ظلمات الجاهلية إلى نور اليقين.

ونرى الرجل المؤمن، وقد اطلع على ما آتاه الله في الجنة من المغفرة والكرامة، يذكر قومه طيب القلب رضي النفس، يتمنى لو يراه قومه ويرون ما آتاه ربه من الرضى والكرامة، ليعرفوا الحق، معرفة اليقين" (Sayyid Qutub, 2012).

أقوال المفسرين:

يقول الشوكاني - رحمه الله -: " ثم صرح بإيمانه تصريحاً لا يبقى بعده شك فقال: (إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ (25) (al-Qur'an, Yassin, 36: 25) خاطب بهذا الكلام المرسلين. قال المفسرون: أراد القوم قتله، فأقبل هو على المرسلين، فقال: إني آمنت بربكم أيها الرسل فاسمعون، أي: اسمعوا إيماني واشهدوا لي به، وقيل: إنه خاطب بهذا الكلام قومه لما أرادوا قتله تصلبوا في الدين وتشددوا في الحق، فلما قال هذا القول وصرح بالإيمان وثبوا عليه فقتلوه، وقيل: وطئوه بأرجلهم، وقيل: حرقوه، وقيل: حفروا له حفرة وألقوه فيها، وقيل: إنهم لم يقتلوه بل رفعه الله إلى السماء فهو في الجنة، وبه قال الحسن، وقيل: نشره بالمنشار قيل ادخل الجنة أي: قيل له ذلك تكريماً له بدخولها بعد قتله كما هي سنة الله في شهداء عباده... " (al-Shawkani, 1414).

ويقول الرازي - رحمه الله -: " في المخاطب بقوله: وجوه أحدها: هم المرسلون، قال المفسرون: أقبل القوم عليه يريدون قتله فأقبل هو على المرسلين وقال: إني آمنت بربكم فاسمعوا قولي واشهدوا لي وثانيها: هم الكفار كأنه لما نصحهم وما نفهمهم قال: فأنا آمنت فاسمعون وثالثها: بربكم أيها السامعون فاسمعون على العموم، كما قلنا في قول الواعظ حيث يقول: يا مسكين ما أكثر أملك وما أنزل عملك يريد به كل سامع يسمعه وفي قوله: فوائد، أحدها: أنه كلام متفكر حيث قال: فاسمعون فإن المتكلم إذا كان يعلم أن لكلامه جماعة سامعين يتفكر وثانيها: أنه ينبه القوم ويقول إني أخبرتكم بما فعلت حتى لا تقولوا لم أخفيت عنا أمرك ولو أظهرت لآمننا معك وثالثها: أن يكون المراد السماع الذي بمعنى القبول، يقول القائل نصحته فسمع قولي أي قبله، فإن قلت لم قال من قبل: (وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (22) (al-Qur'an, Yassin, 36:22)، وقال هاهنا: ولم يقل آمنت بربي؟ نقول قولنا الخطاب مع الرسل أمر ظاهر، لأنه لما قال (تَوَّ تَوَّ) ظهر عند الرسل أنه قبل قولهم وآمن بالرب الذي دعوه إليه ولو قال بربي لعلهم كانوا يقولون كل كافر يقول لي رب وأنا مؤمن بربي، وأما على قولنا الخطاب مع الكفار ففيه بيان للتوحيد، وذلك لأنه لما قال: ثم قال: فهم أنه يقول ربي وربكم واحد وهو الذي فطرني وهو بعينه ربكم، بخلاف ما لو قال آمنت بربي فيقول الكافر وأنا أيضاً آمنت بربي ومثل هذا قوله تعالى: (فَلْيَدْلِكِ قَادُغٌ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (al-Qur'an, Syura, 42:15) (al-Razi, 1420) (15)

ويقول ابن عاشور - رحمه الله - " وقوله: (وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (20) (al-Qur'an, Yasin, 36:20) عطف على جملة قصد إشعارهم بأنه اتبع المرسلين وخلع عبادة الأوثان، وأبرز الكلام في صورة استفهام إنكاري وبصيغة: ما لي لا أفعل، التي شأنها أن يوردها المتكلم في رد على من أنكر عليه فعلا، أو ملكه العجب من فعله أو يوردها من يقدر ذلك في قلبه، ففيه إشعار بأنهم كانوا منكبين عليه الدعوة إلى تصديق الرسل الذين جاؤوا بتوحيد الله فإن ذلك يقتضي أنه سبقهم بما أمرهم به. وما استفهامية في موضع رفع بالابتداء، والمجرور من قوله: لي خبر عما الاستفهامية.

وجملة حال من الضمير. والمعنى: وما يكون لي في حال لا أعبد الذي فطرنى، أي لا شيء يمنعني من عبادة الذي خلقتني، وهذا الخبر مستعمل في التعريض بهم كأنه يقول: وما لي لا أعبد وما لكم لا تعبدون الذي فطركم بقرينة قوله: إذ جعل الإسناد إلى ضميرهم تقوية لمعنى التعريض، وإنما ابتداء بإسناد الخبر إلى نفسه لإبرازه في معرض المناصحة لنفسه وهو يريد مناصحتهم ليتلطف بهم ويدارئهم فيسمعهم الحق على وجه لا يثير غضبهم ويكون أعون على قبولهم إياه حين يرون أنه لا يريد لهم إلا ما يريد لنفسه" (Ibn 'Ashur, 1984).

يقول عبد السلام الراغب: "فالرجل المؤمن ينصح قومه بالإيمان واتباع الرسل، ويبين لهم دليلا على صدق المرسلين، وهو أنهم لا يطلبون منهم أجرا، ثم حدثهم عن إيمانه، وأسبابه، وصور الإيمان لهم من دواعي الفطرة، ولكنهم قتلوه كما يوحي السياق، وينتقل السياق مباشرة إلى مشهد النعيم، والرجل المؤمن يتابع حديثه عن قومه ويتمنى لو يعلمون حقيقة ما آل إليه من التكريم والغفران. وهذا الانتقال في السياق من الدنيا إلى الآخرة أسلوب متبع في التصوير القرآني، لربط الدنيا بالآخرة في ذهن المخاطب دائما" (al-Gharib, 2001).

فيتضح للقارئ مما سبق نموذج من قواعد الترجيح وهو الترجيح "بدلالة سياق القصة" (Khalid al-Sabt, 2005).

النموذج الثاني: الترجيح بدلالة سياق السيرة والسورة:

الترجيح بدلالة سياق السيرة والسورة هو منهج تفسيري يعتمد على فهم النصوص القرآنية في ضوء السياق التاريخي لنبي من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وسياق السورة التي وردت فيها الآية. هذا المنهج يساعد في تحديد المعاني الدقيقة للنصوص، خاصة عندما يكون هناك أكثر من تفسير محتمل. قال تعالى: (فَبَشِّرْهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (101) (al-Qur'an, al-Saffat, 37:101).

يقول سيد - رحمه الله - : " هو إسماعيل - كما يرجح سياق السيرة والسورة - وسنرى آثار حلمه الذي وصفه ربه به وهو غلام. ولنا أن نتصور فرحة إبراهيم الوحيد المفرد المهاجر المقطوع من أهله وقرباته. لنا أن نتصور فرحته بهذا الغلام، الذي يصفه ربه بأنه حليم" (Sayyid Qutub, 2012).

أقوال المفسرين:

يقول الطبري - رحمه الله: " وقد روي عن جماعة من أهل العلم أن إبراهيم إنما أمر بذبح ابنه إسحاق بالشام، وبها أراد ذبحه " (al-Tabari, 2000).

ويقول ابن كثير - رحمه الله -: " وهذا الغلام هو إسماعيل عليه السلام، فإنه أول ولد بُشِّرَ به إبراهيم، عليه السلام، وهو أكبر من إسحاق باتفاق المسلمين وأهل الكتاب، بل في نص كتابهم أن إسماعيل ولد لإبراهيم، عليه السلام، ست وثمانون سنة، وولد إسحاق وعمر إبراهيم تسع وتسعون سنة. وعندهم أن الله تعالى أمر إبراهيم أن يذبح ابنه وحيداً، وفي نسخة: بكره، فأقحموا هاهنا كذباً وبهتاناً "إسحاق"، ولا يجوز هذا لأنه مخالف لنص كتابهم، وإنما أقحموا "إسحاق" لأنه أبوه، وإسماعيل أبو العرب، فحسدوهم، فزادوا ذلك وحرفوا وحيدك، بمعنى الذي ليس عندك غيره، فإن إسماعيل كان ذهب به وبأمه إلى جنب، مكة وهذا تأويل وتحريف باطل، فإنه لا يقال: "وحيد" إلا لمن ليس له غيره، وأيضاً فإن أول ولد له معزة ما ليس لمن بعده من الأولاد، فالأمر بذبحه أبلغ في الابتلاء والاختبار.

وقد ذهب جماعة من أهل العلم إلى أن الذبيح هو إسحاق، وحكي ذلك عن طائفة من السلف، حتى نقل عن بعض الصحابة أيضاً، وليس ذلك في كتاب ولا سنة، وما أظن ذلك تلقى إلا عن أحبار أهل الكتاب، وأخذ ذلك مسلماً من غير حجة. وهذا كتاب الله شاهد ومرشد إلى أنه إسماعيل، فإنه ذكر البشارة بالغلام الحليم، وذكر أنه الذبيح، ثم قال بعد ذلك: (وَبَشِّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (al-Qur'an, al-Saffat, 37:112) (112) ولما بشرت الملائكة إبراهيم بإسحاق (قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (al-Qur'an, al-Hijr, 53) (53) وقال تعالى (وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشِّرْنَاَهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ (al-Qur'an, Hud, 11:71) (71) أي: يولد له في حياتهما ولد يسمى يعقوب، فيكون من ذريته عقب ونسل. وقد قدمنا هناك أنه لا يجوز بعد هذا أن يؤمر بذبحه وهو صغير؛ لأن الله [تعالى] قد وعدهما بأنه سيعقب، ويكون له نسل، فكيف يمكن بعد هذا أن يؤمر بذبحه صغيراً، وإسماعيل وصف هاهنا بالحليم؛ لأنه مناسب لهذا المقام (Ibn Kathir, t.th). قيل: " ختم هنا لمناسبة حلم الغلام، لوعده بالصبر في جوابه، لسؤال أبيه في ذبحه، حيث قال: (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (al-Qur'an, al-Saffat, 37:102) (102) " (al-Harari, 2001).

ويقول أبو زهرة - رحمه الله - في الآية السابقة: " هذه بشراه لإسماعيل - صلى الله عليه وسلم -، وكانت استجابة لدعائه، وكانت بعد ذلك في نفس السورة بشراه لإسحاق فقال سبحانه:

(وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ (113) (al-Qur'an, al-Saffat, 37:113) ، والبشارتان مختلفتان: فإسماعيل أكبر من إسحاق، فالذبيح إسماعيل لا إسحاق كما جاء في التوراة المحرفة " (Abu Zahrah, 1394).

لذا يتضح مما سبق نموذج من الترجيح بالسياق، وهو الترجيح بالسيرة والسورة، وهو ما ذهب إليه سيد قطب ورجحه الامام النسفي - رحمه الله تعالى - في التفسير (al-Nasafi, 1998).

النموذج الثالث: الترجيح بدلالة سياق الآيات للأحداث والوقائع.

الترجح بدلالة سياق الآيات للأحداث والوقائع هو منهج تفسيري يعتمد على فهم الآيات في سياقها التاريخي والموضوعي وهذا النوع اعتمده سيد قطب في تفسيره، وهذا النوع يساعد في تحديد المعاني الدقيقة للنصوص القرآنية، هذا المنهج يُستخدم في تفسير الآيات التي تتعلق بأحداث معينة أو وقائع تاريخية، حيث يتم النظر إلى السياق العام للنص لفهم دلالاته بشكل أعمق. ومن أمثلته قال تعالى: ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (1) (al-Qur'an, al-Qalam, 68:1).

يقول سيد - رحمه الله - : " لا يمكن تحديد التاريخ الذي نزلت فيه هذه السورة سواء مطلعها أجملتها. كما أنه لا يمكن الجزم بأن مطلعها قد نزل أولاً، وأن سائرها نزل أخيراً - ولا حتى ترجيح هذا الاحتمال. لأن مطلع السورة وختامها يتحدثان عن أمر واحد، وهو تطاول الذين كفروا على شخص رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقولهم: إنه مجنون! والروايات التي تقول: إن هذه السورة هي الثانية في النزول بعد سورة العلق كثيرة، ومن المتفق عليه في ترتيب المصاحف المختلفة أنها هي السورة الثانية ولكن سياق السورة وموضوعها وأسلوبها يجعلنا نرجح غير هذا. حتى ليكاد يتعين أنها نزلت بعد فترة من الدعوة العامة، التي جاءت بعد نحو ثلاث سنوات من الدعوة الفردية، في الوقت الذي أخذت فيه قريش تدفع هذه الدعوة وتحاربها، فتقول عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تلك القولة الفاجرة وأخذ القرآن يردّها وينفيها، ويهدد المناهضين للدعوة، ذلك التهديد الوارد في السورة. واحتمال أن مطلع السورة نزل مبكراً وحده بعد مطلع سورة العلق. وأن الجنون المنفي فيه (مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ) (2) (al-Qur'an, al-Qalam, 68:2) جاء بمناسبة ما كان يتخوفه النبي - صلى الله عليه وسلم - على نفسه في أول الوحي، من أن يكون ذلك جنوناً أصابه.. هذا الاحتمال ضعيف. لأن هذا التخوف ذاته على هذا النحو ليست فيه رواية محققة، ولأن سياق السورة المتناسك يدل على أن هذا النفي ينصب على ما جاء في آخرها من قوله تعالى (وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ) (al-Qur'an, al-Qalam, 68:51) (51). فهذا هو الأمر الذي افتتح السورة بنفيه، كما يتبادر إلى الذهن عند قراءة السورة المتناسكة الحلقات (Sayyid Qutub, 2012)."

أقوال المفسرين:

يقول ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره: " أن سورة القلم مدنية" (Ibn Kathir, 2000). ويقول الثعالبي - رحمه الله - " سورة القلم وهي مكية بلا خلاف" (al-Tha'alabi, 1418). ذكر القرطبي - رحمه الله - أن من السورة ما هو مكّي ومنها ما هو مدني، فقال: " تفسير سورة مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر. وقال ابن عباس وقتادة: من أولها إلى قوله تعالى (سَنَسِئُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ (16) (al-Qur'an, al-Qalam, 68:16) مكّي، ومن بعد ذلك إلى قوله تعالى: (كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (33) (al-Qur'an, al-Qalam, 68:33) مدني، ومن بعد ذلك إلى قوله (أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ (47) (al-Qur'an, al-Qalam, 68:47) مكّي. ومن بعد ذلك إلى قوله تعالى (فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (50) (al-Qur'an, al-Qalam, 68:50) مدني، وما بقي مكّي. قاله الماوردي" (al-Qurtubi, 1964).

والذي يظهر من تتبع التفاسير يجد وقوع الخلاف في مكية بعض آيات السورة ومدنية بعضها الآخر، وهذا الذي جعل بعض المفسرين يتكلمون عن السورة باعتبارها مكّي والبعض الآخر يتكلمون عنها باعتبارها مدني، والخلاف وارد في سياق السورة، ولعل السبب يعود إلى عرض الآيات للأحداث والوقائع (Muhammad Ra'fit Sa'id, 2002). وهنا نلاحظ سمو سيد في ترجيحه بسياق السورة وموضوعها العام، وأن هذه السورة ليست الثانية نزولاً، وإنما نزلت بعد المرحلة السرية.

النموذج الرابع: الترجيح بدلالة سياق مناسبة نزول الآيات.

الترجيح بدلالة سياق مناسبة نزول الآيات هو أحد الأساليب المهمة في الترجيح بين الأقوال التفسيرية، ويُقصد به: تقديم القول أو التفسير الذي ينسجم مع سبب نزول الآية والسياق الذي نزلت فيه، على غيره من الأقوال التي قد تكون عامة أو غير مرتبطة بالسياق.

ومن أمثله التطبيقية قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (2) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (3) إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ (al-Qur'an, al-Saf, 61: 2-4) (4)

يقول سيد - رحمه الله -: " قال علي بن طلحة عن ابن عباس قال: كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد يقولون: لوددنا أن الله عز وجل دلنا على أحب الأعمال إليه، فنعمل به، فأخبر الله نبيه أن أحب الأعمال إيمان به لا شك فيه، وجهاد أهل معصيته الذين خالفوا الإيمان ولم يقرؤا به. فلما نزل الجهاد كره ذلك ناس من المؤمنين، وشق عليهم أمره، وقد اختار ابن جرير (al-Tabari, 2000) في تفسيره هذا القول، وقال ابن كثير (Ibn Kathir, t.th) في تفسيره: «وحملوا الآية - يعني الجمهور - على أنها نزلت حين تمنوا فريضة الجهاد عليهم، فلما

فرض نكل عنه بعضهم، كقوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا (77) أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلُّ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا (78) (al-Qur'an, al-Nisa', 4: 77-78).

وقال قتادة والضحاك نزلت توبيخا لقوم كانوا يقولون: قتلنا. ضربنا. طعنا. وفعلنا ... ولم يكونوا فعلوا ذلك (Sayyid Qutub, 2012).

أقوال المفسرين:

من قال أنها مدنية:

يقول الألوسي — رحمه الله —: "سورة الصَّفِّ وتسمى أيضا سورة الحواريين وسورة عيسى عليه السلام، وهي مدنية في قول الجمهور، وروي ذلك عن ابن الزبير وابن عباس والحسن وقتادة وعكرمة ومجاهد، وقال ابن يسار: مكية، وروي ذلك عن ابن عباس ومجاهد أيضا، والمختار الأول.. (al-Alusi, 1415). ويقول المظهري — رحمه الله — "سورة الصَّفِّ مدنية وهي أربع عشرة آية" (al-Mazhari, 1412). ويقول سعيد حوى — رحمه الله —: "وهي السورة الحادية والستون بحسب الرسم القرآني وهي السورة الأولى من المجموعة الأولى من قسم المفصل، وهي أربع عشرة آية وهي مدنية" (Sa'id Hawwa, 1424).

من قال أنها مكية:

يقول أبو الحسن الواحدي — رحمه الله — "تفسير سورة الصف وهي أربع عشرة آية، مكية" (Adil Ahmad, 1994) ، ومثله قال: الرازي — رحمه الله (al-Razi, 1420).

والراجح من سياق الآيات وذكر القتال أن مناسبة النزول هو الذي عليه الجمهور، وهو اختيار ابن جرير (al-Tabari, 2000)، وأن سياق السورة مدنية في قول الجمهور، وقيل: مكية، والأول أصح (al-'Alimi, 2009).

النموذج الخامس: الترجيح بدلالة سياق السورة ودلالاتها.

الترجيح بدلالة سياق السورة ودلالاتها هو أحد أوجه الترجيح التفسيري الذي يُعتمد فيه على وحدة موضوع السورة وترباط مقاصدها، لتقديم تفسير على غيره عند تعدد الأقوال. وهذا النوع من الترجيح له قيمة كبيرة في التفسير الموضوعي، لأنه يقرأ الآية في بنيتها الكاملة داخل السورة، وليس ككلام منفصل.

والترجيح بسياق السورة: هو تقديم القول التفسيري الذي ينسجم مع موضوع السورة ومحورها الأساسي ومقاصدها، على غيره من الأقوال التي قد لا تتلاءم مع دلالات السورة العامة. ومن أمثلته التطبيقية قال تعالى: (أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ (19) وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخَرَىٰ (20) (al-Qur'an al-Najm, 53: 19-20).

يقول سيد - رحمه الله - : "وكننت قد قرأت تلك الروايات المفتراة عما سمي بحديث الغرائيق (Ibrahim Mustafa et al., t.th) الذي أورده ابن سعد في طبقاته، وابن جرير الطبري في تاريخه. وبعض المفسرين عند تفسيرهم لقوله تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (52) (al-Qur'an, al-Hajj, 22:52).

وهي الروايات التي قال فيها ابن كثير (Ibn Kathir, t.th) - جزاه الله خيراً - «ولكنها من طرق كلها مرسله. ولم أرها مسندة من وجه صحيح».

وأكثر هذه الروايات تفصيلاً وأقلها إغراقاً في الخرافة والافتراء على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رواية ابن أبي حاتم. قال: حدثنا موسى بن أبي موسى الكوفي، حدثنا محمد بن إسحاق الليثي، حدثنا محمد ابن فليح، عن موسى بن عقبة، عن ابن شهاب. قال: أنزلت سورة النجم، وكان المشركون يقولون: لو كان هذا الرجل يذكر آلهتنا بخير أقررناه وأصحابه ولكنه لا يذكر من خالف دينه من اليهود والنصارى يمثل الذي يذكر آلهتنا من الشتم والشر. وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد اشتد عليه ما ناله وأصحابه من أذاهم وتكذيبهم، وأحزنه ضلالهم فكان يتمنى هداهم. فلما أنزل الله سورة النجم قال: ألقى الشيطان عندها كلمات حين ذكر الله الطواغيت فقال: وإنهن لمن الغرائيق العلى، وإن شفاعتهن لهي التي ترجى.. وكان ذلك من سجع الشيطان وفتنته.. فوقعت هاتان الكلمتان في قلب كل مشرك بمكة، وزلت بها ألسنتهم، وتباشروا بها، وقالوا: إن محمداً قد رجع إلى دينه الأول ودين قومه.. فلما بلغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - آخر النجم سجداً، وسجد كل من حضره من مسلم أو مشرك. غير أن الوليد بن المغيرة كان رجلاً كبيراً فرفع ملء كفه تراباً فسجد عليه. فعجب الفريقان كلاهما من جماعتهم في السجود لسجود رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأما المسلمون فعجبوا لسجود المشركين معهم على غير إيمان ولا يقين. ولم يكن المسلمون سمعوا الذي ألقى الشيطان في مسامع المشركين.. فاطمأنت أنفسهم - أي المشركون - لما ألقى الشيطان في أمنية رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وحدثهم به الشيطان أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد قرأها في السورة، فسجدوا لتعظيم آلهتهم. ففشيت تلك الكلمة في الناس وأظهرها الشيطان حتى بلغت أرض الحبشة ومن بها من المسلمين: عثمان بن مظعون وأصحابه، وتحدثوا أن أهل مكة قد

أسلموا كلهم، وصلوا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبلغهم سجود الوليد بن المغيرة على التراب على كفه، وحدثوا أن المسلمين قد أمنوا بمكة، فأقبلوا سراعاً، وقد نسخ الله ما ألقى الشيطان، وأحكم الله آياته، وحفظه من الفرية. فلما بين الله قضاءه وبرأه من سجع الشيطان، انقلب المشركون بضاللتهم وعداوتهم على المسلمين، واشتدوا عليهم».. انتهى وهناك روايات أخرى أجراً على الافتراء تنسب قوله الغرائيق.. تلك.. إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتعلل هذا برغبته - حاشاه صلى الله عليه وسلم - في مرضاة قريش ومهادنتها!!! وقد رفضت منذ الوهلة الأولى تلك الروايات جميعاً.. فهي فضلاً عن مجافاتها لعصمة النبوة وحفظ الذكر من العبث والتحريف، فإن سياق السورة ذاته ينفيها نفياً قاطعاً. إذ أنه يتصدى لتوهين عقيدة المشركين في هذه الآلهة وأساطيرهم حولها. فلا مجال لإدخال هاتين العبارتين في سياق السورة بحال. حتى على قول من قال: إن الشيطان ألقى بهما في أسماع المشركين دون المسلمين، فهؤلاء المشركون كانوا عرباً يتذوقون لغتهم. وحين يسمعون هاتين العبارتين المقحمتين ويسمعون بعدهما: قال تعالى (أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى (21) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى (22) إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَتْهُمَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى (al-Qur'an, al-Najm, 53: 21-23) (23).

ويسمعون بعد ذلك (إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُؤْنَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةً الْأُنثَى (27) وَمَا هُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا (al-Qur'an, al-Najm, 53: 27-28) ويسمعون قبله (وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى (al- (26) Qur'an, al-Najm, 53: 26) حين يسمعون هذا السياق كله فإنهم لا يسجدون مع الرسول - صلى الله عليه وسلم - لأن الكلام لا يستقيم. والثناء على آلهتهم وتقدير أن لها شفاعاة ترتجى لا يستقيم. وهم لم يكونوا أغبياء كغباء الذين افتروا هذه الروايات، التي تلقفها منهم المستشرقون مغرضين أو جاهلين! لغير هذا السبب إذن سجد المشركون. ولغير هذا السبب عاد المهاجرون من الحبشة ثم عادوا إليها بعد حين مع آخرين. وليس هنا مجال تحقيق سبب عودة المهاجرين، ثم عودتهم إلى الحبشة مع آخرين.. فأما أمر السجود فهو الذي نتصدى له في هذه المناسبة.. (Sayyid Qutub, 2012).

أقوال المفسرين:

يقول السمعاني - رحمه الله - : " وقوله: الأكثرون على أن معناه: إذا قرأ: أي: في قراءته، أي: تلا، وقال بعضهم: تمنى هو حديث النفس، والقصة في الآية: هو ما روي عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وسعيد بن جبير، والزهرى، والضحاك، وغيرهم أن النبي قرأ سورة " والنجم " في صلاته، وعنده المسلمون والمشركون، ويقال: قرأ في الصلاة، فلما بلغ قوله تعالى: ألقى الشيطان على لسانه: " تلك الغرائيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى " ومر في السورة حتى سجد في آخرها، ففرح المشركون وسروا، وقالوا: قد ذكر آلهتنا بخير، ولا نريد إلا هذا، وسجدوا معه. قال ابن

مسعود: ولم يسجد الوليد بن المغيرة، ورفع ترابا إلى جبهته، وقال: سجدت - وكان شيخا كبيرا - قال: فجاء جبريل - عليه السلام - وقال: اقرأ علي سورة " والنجم " فقرأ، وألقى الشيطان على لسانه هكذا، فقال: هذا لم آت به، وأخرجه من قراءته، فحزن رسول الله حزنا شديدا، فإن قال قائل: كيف يجوز هذا على النبي، وقد كان معصوما من الغلط في أصل الدين؟ وقال الله تعالى (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (42) (al-Qur'an, al-Hijr, 15: 42) وقال الله تعالى (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (42) (al-Qur'an, Fussilat, 41:42). أي: إبليس؟

والجواب عنه: اختلفوا في الجواب عن هذا، قال بعضهم: إن هذا ألقاه بعض المنافقين في قراءته، وكان المنافق هو القارئ فظن المشركون أن الرسول قرأ، وسمى ذلك المنافق شيطانا؛ لأن كل كافر متمرّد بمنزلة الشيطان، وهذا جواب ضعيف.

(لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (53) (al-Qur'an, al-Hajj, 22:53) ومنهم من قال: إن الرسول لم يقرأ، ولكن الشيطان ذكر هذا بين قراءة النبي، وسمع المشركون ذلك، وظنوا أن الرسول قرأ، وهذا اختيار الأزهري وغيره. وقال بعضهم: إن الرسول أغفى إغفاءة ونعس، فجرى على لسانه هذا، ولم يكن به خبر بإلقاء الشيطان، وهذا قول قتادة، وأما الأكثرون من السلف ذهبوا إلى أن هذا شيء جرى على لسان الرسول بإلقاء الشيطان من غير أن يعتقد، وذلك محنة وفتنة من الله (وعادة) ، والله تعالى يمتحن عباده بما شاء، ويفتنهم بما يريد، وليس عليه اعتراض لأحد وقالوا: إن هذا وإن كان غلطا عظيما، فالغلط يجوز على الأنبياء، إلا أنهم لا يقرون عليه" (Abu al-Muzaffar, 1997). وذكر محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - خلاصة القول في هذه المسألة المهمة عند "في هذه الآية الكريمة فيه للعلماء وجهان من التفسير معروفان:

الأول: بمعنى: قرأ وتلا ومنه قول حسان في عثمان بن عفان - رضي الله عنه -:

تمنى كتاب الله أول ليلة ... وآخرها لاقى حمام المقادر

وقول الآخر:

تمنى كتاب الله آخر ليلة ... تمنى داود الزبور على رسل

فمعنى تمنى في البيت قرأ وتلا. وفي صحيح البخاري (1422)، عن ابن عباس أنه قال: إذا حدث ألقى الشيطان في حديثه، وكون بمعنى: قرأ وتلا، هو قول أكثر المفسرين.

وعلق أمله بذلك، فمفعول ألقى يظهر أنه من جنس الوسواس، والصد عن دين الله حتى لا يتم للنبي - صلى الله عليه وسلم - أو الرسول ما تمنى. ومعنى كون الإلقاء على هذا الوجه: أن الشيطان يلقي وسوسه وشبهه

ليصد بها عما تمناه الرسول أو النبي، فصار الإلقاء كأنه واقع فيها بالصد عن تمامها والحيلولة دون ذلك. وعلى أن تمنى بمعنى: قرأ، ففي مفعول تقديران:

أحدهما: من جنس الأول أي: ألقى الشيطان في قراءة الرسول - صلى الله عليه وسلم - أو النبي الشبه والوساوس ليصد الناس عن اتباع ما يقرؤه، ويتلوه الرسول أو النبي، وعلى هذا التقدير فلا إشكال.
الثاني: أي قراءته ما ليس منها ليظن الكفار أنه منها. يستأنس به لهذا التقدير.

وقد ذكر كثير من المفسرين في تفسير هذه الآية قصة الغرائق قالوا: سبب نزول هذه الآية الكريمة أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قرأ سورة النجم بمكة، فلما بلغ ألقى الشيطان على لسانه: تلك الغرائق العلى وإن شفاعتهن لترجي، فلما بلغ آخر السورة سجد وسجد معه المشركون والمسلمون. وقال المشركون: ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم، وشاع في الناس أن أهل مكة أسلموا بسبب سجودهم مع النبي - صلى الله عليه وسلم -، حتى رجع المهاجرون من الحبشة ظنا منهم أن قومهم أسلموا، فوجدوهم على كفرهم.

وقد قدمنا في هذا الكتاب المبارك أن من أنواع البيان التي تضمنها أن يقول بعض العلماء في الآية قولاً، ويكون في الآية قرينة تدل على بطلان ذلك القول، ومثلنا لذلك: بأثلة متعددة، وهذا القول الذي زعمه كثير من المفسرين: وهو أن الشيطان ألقى على لسان النبي - صلى الله عليه وسلم -، هذا الشرك الأكبر والكفر البواح الذي هو قولهم: تلك الغرائق العلى وإن شفاعتهن لترجي، يعنون: اللات والعزى، ومناة الثالثة الأخرى، الذي لا شك في بطلانه في نفس سياق آيات «النجم» التي تخللها إلقاء الشيطان المزعوم قرينة قرآنية واضحة على بطلان هذا القول؛ لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - قرأ بعد موضع الإلقاء المزعوم بقليل قوله تعالى، في اللات والعزى، ومناة الثالثة الأخرى وليس من المعقول أن النبي - صلى الله عليه وسلم - يسب آلهتهم هذا السب العظيم في سورة النجم متأخراً عن ذكره لها بخير المزعوم، إلا وغضبوا، ولم يسجدوا؛ لأن العبرة بالكلام الأخير، مع أنه قد دلت آيات قرآنية على بطلان هذا القول، وهي الآيات الدالة على أن الله لم يجعل للشيطان سلطاناً على النبي - صلى الله عليه وسلم -، وإخوانه من الرسل، وأتباعهم المخلصين كقوله تعالى (إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (99) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ (100) al-Qur'an, al-Nahl, 99-100) وقوله تعالى (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (100) al-Qur'an, al-Hijr, 15: 42) وقوله (وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُوْثِرُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ (21) (21) al-Qur'an, Saba', 34:21) وقوله (وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقَّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ

أَلَيْمٌ (22) (al-Qur'an, Ibrahim, 14:22) وعلى القول المزعوم أن الشيطان ألقى على لسانه - صلى الله عليه وسلم - ذلك الكفر البواح، فأى سلطان له أكبر من ذلك.

ومن الآيات الدالة على بطلان ذلك القول المزعوم قوله تعالى في النبي - صلى الله عليه وسلم - (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (3) إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (4) (al-Qur'an, al-Najm, 53: 3-4) وقوله (هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ نَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (221) تَنْزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (222) (al-Qur'an, al-Shu'ara, 26: 221-222) وقوله في القرآن العظيم (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (9) (al-Qur'an, al-Hijr, 15:9) وقوله تعالى (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (42) (al-Qur'an, Fussilat, 41:42). فهذه الآيات القرآنية تدل على بطلان القول المزعوم.

مسألة أوردتها الشنقيطي في كتابه: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب فقال: "اعلم: أن مسألة الغرائيق مع استحالتها شرعاً، ودلالة القرآن على بطلانها لم تثبت من طريق صالح للاحتجاج، وصرح بعدم ثبوتها خلق كثير من علماء الحديث كما هو الصواب، والمفسرون يروون هذه القصة عن ابن عباس من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، ومعلوم أن الكلبي متروك، وقد بين البزار (al-Bazzar, 2009) - رحمه الله - أنها لا تعرف من طريق يجوز ذكره إلا طريق أبي بشر عن سعيد بن جبير، مع الشك الذي وقع في وصله، وقد اعترف الحافظ ابن حجر مع انتصاره، لثبوت هذه القصة بأن طرقها كلها إما منقطعة أو ضعيفة إلا طريق سعيد بن جبير. وإذا علمت ذلك فاعلم أن طريق سعيد بن جبير، لم يروها بها أحد متصل إلا أمية بن خالد، وهو وإن كان ثقة فقد شك في وصلها.

فقد أخرج البزار وابن مردويه من طريق أمية بن خالد عن شعبة عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس فيما أحسب، ثم ساق حديث القصة المذكورة، وقال البزار: لا يرى متصلاً إلا بهذا الإسناد، تفرد بوصله أمية بن خالد، وهو ثقة مشهور، وقال البزار: وإنما يروى من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، والكلبي متروك.

فتحصل أن قصة الغرائيق، لم ترد متصلة إلا من هذا الوجه الذي شك راويه في الوصل، ومعلوم أن ما كان كذلك لا يحتج به لظهور ضعفه، ولذا قال الحافظ ابن كثير في تفسيره: إنه لم يرها مسندة من وجه صحيح.

وقال الشوكاني (al-Shawkani, 1414) في هذه القصة: "ولم يصح شيء من هذا، ولا يثبت بوجه من الوجوه، ومع عدم صحته، بل بطلانه فقد دفعه المحققون بكتاب الله؛ كقوله (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (44) (al-Qur'an, al-Haqqah, 69:44)، وقوله (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (3) (al-Qur'an, al-Najm, 53:3) وقوله (وَلَوْ لَا أَنْ تَبْتَئَكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا (74) (al-Qur'an, al-Isra', 17:74) فنفي المقاربة للركون فضلاً عن الركون، ثم ذكر الشوكاني عن البزار أنها لا تروى بإسناد متصل، وعن البيهقي أنه قال: هي غير ثابتة من جهة النقل، وذكر عن إمام الأئمة ابن خزيمة: أن هذه القصة من وضع الزنادقة وأبطالها ابن العربي المالكي، والفخر الرازي وجماعات كثيرة، وقراءته - صلى الله عليه وسلم - سورة النجم وسجود المشركين

ثابت في الصحيح، ولم يذكر فيه شيء من قصة الغرائيق، وعلى هذا القول الصحيح وهو أنها باطلة فلا إشكال. وأما على ثبوت القصة كما هو رأي الحافظ ابن حجر فإنه قال في فتح الباري (Ibn Hajar, 1379):

"إن هذه القصة ثابتة بثلاثة أسانيد كلها على شرط الصحيح، وهي مراسيل يحتج بمثلها من يحتج بالمرسل، وكذلك من لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض؛ لأن الطرق إذا كثرت وتباينت مخارجها، دل ذلك على أن لها أصلاً، فللعلماء عن ذلك أجوبة كثيرة أحسنها، وأقربها: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يرتل السورة ترتيلاً تتخلله سكنتات، فلما قرأ قال الشيطان - لعنه الله - محاكياً لصوته: تلك الغرائيق العلى... الخ فظن المشركون أن الصوت صوته - صلى الله عليه وسلم -، وهو برئ من ذلك براءة الشمس من اللمس" (Muhammad al-Amin, 1995).

والحاصل: "أن القرآن دل على بطلانها، ولم تثبت من جهة النقل، مع استحالة الإلقاء على لسانه - صلى الله عليه وسلم - لما ذكر شرعاً، ومن أثبتتها نسب التلفظ بذلك الكفر للشيطان. فتبين أن نطق النبي - صلى الله عليه وسلم - بذلك الكفر، ولو سهواً مستحيل شرعاً، وقد دل القرآن على بطلانه، وهو باطل قطعاً على كل حال، والغرائيق: الطير البيض المعروفة واحدها: غرنوق كزنبور وفردوس، وفيه لغات غير ذلك، يزعمون أن الأصنام ترتفع إلى الله كالطير البيض، فتشفع عنده لعابديها قبحهم الله ما أكفرهم!

يستأنس به لقول من قال: إن مفعول الإلقاء المحذوف تقديره: ألقى الشيطان في قراءته ما ليس منها؛ لأن النسخ هنا هو النسخ اللغوي، ومعناه الإبطال والإزالة من قولهم: نسخت الشمس الظل، ونسخت الريح الأثر، وهذا كأنه يدل على أن الله ينسخ شيئاً ألقاه الشيطان، ليس مما يقرؤه الرسول أو النبي، فالذي يظهر لنا أنه الصواب، وأن القرآن يدل عليه دلالة واضحة، وإن لم ينتبه له من تكلم على الآية من المفسرين: هو أن ما يلقيه الشيطان في قراءة النبي: الشكوك والوساوس المانعة من تصديقها وقبولها، كإلقائه عليهم أنها سحر أو شعر، أو أساطير الأولين، وأنها مفتراة على الله ليست منزلة من عنده.

والدليل على هذا المعنى: أن الله بين أن الحكمة في الإلقاء المذكور امتحان الخلق، لأنه قال: (وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ هَادِي الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ - al- (54) (Qur'an, al-Hajj, 22:54) فقله: يدل على أن الشيطان يلقي عليهم، أن الذي يقرؤه النبي ليس بحق فيصدقه الأشقياء، ويكون ذلك فتنة لهم، ويكذبه المؤمنون الذين أوتوا العلم، ويعلمون أنه الحق لا الكذب؛ كما يزعم لهم الشيطان في إلقائه: فهذا الامتحان لا يناسب شيئاً زاده الشيطان من نفسه في القراءة، والعلم عند الله تعالى. وعلى هذا القول، فمعنى نسخ ما يلقي الشيطان: إزالته وإبطاله، وعدم تأثيره في المؤمنين الذين أوتوا العلم" (al-Shanqiti, 1995).

والذي يظهر من سياق السورة بعد عرض آراء المفسرين، أنه - صلى الله عليه وسلم - حاشاه من مراضاة قريش ومهادنتها.. فضلاً عن مجافاتها لعصمة النبوة وحفظ الذكر من العبث والتحريف، ولهذا فإن سياق السورة ذاته ينفيها نفيًا قاطعاً. والثناء على آلهتهم وتقرير أن لها شفاعة ترجى لا يستقيم.

النموذج السادس: الترجيح حسب تسلسل الأحداث التاريخية.

هو منهج من مناهج الترجيح في التفسير الموضوعي، يقوم على فهم الآيات وتقديم أحد الأقوال التفسيرية بناءً على ترتيب الوقائع والأحداث كما جرت في الواقع التاريخي، وليس فقط وفق ترتيبها في المصحف. ومن أمثله التطبيقية قال تعالى (وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (al-Qur'an, al-Fath, 48:21) (21).

يقول سيد قطب رحمه-: "وتختلف الروايات في هذه الأخرى، أهى فتح مكة؟ أهى فتح خيبر؟ أهى فتوح مملكتي كسرى وقيصر؟ أهى فتوح المسلمين التي تلت هذه الوقعة جميعاً؟ وأقرب ما يناسب السياق أن تكون هي فتح مكة، بعد صلح الحديبية وبسبب من هذا الصلح، الذي لم يدم سوى عامين، ثم نقضه المشركون، ففتح الله مكة للمسلمين بلا قتال تقريباً. وهي التي استعصت عليهم من قبل، وهاجمتهم في عقر دارهم، وردتهم عام الحديبية، ثم أحاط الله بها، وسلمها لهم بلا قتال. فهذه بشرى ملفوفة في هذا الموضوع، لم يحددها لأنها كانت عند نزول هذه الآية غيباً من غيب الله، أشار إليه هذه الإشارة لبث الطمأنينة والرضى والتطلع والاستبشار" (Sayyid Qutub, 2012).

أقوال المفسرين:

وقد اختلف المفسرون في هذه الغنيمة ما المراد بها، فاختر ابن جرير أنها فتح مكة، ومن وافقه كذلك محمد سيد طنطاوي يقول في تفسيره الوسيط: (وتختلف الأقوال في هذه المغام الأخرى فمنهم من يرى أنها فتح مكة، ومنهم من يرى أنها فتح خيبر. ومنهم من يرى أنها مغام هوازن وثقيف، ومنهم من يرى أنها مغام المسلمين من الفرس والروم.

ويبدو لنا أن أرجح هذه الأقوال أولها، لأنه ترتب على هذا الصلح في الحديبية أن فتحت مكة بعد سنتين منه، بسبب نقض المشركين له، وقد تم فتحها بدون قتال يذكر (Muhammad Sa'id Tantawi, 1998).

النموذج السابع: الترجيح حسب سياق وموضوع السورة.

الترجح حسب سياق وموضوع السورة هو منهج تفسيري دقيق يُستخدم في الترجيح بين الأقوال التفسيرية، يعتمد على فهم الوحدة الموضوعية للسورة، وربط الآية بموضوع السورة العام ومقاصدها ومراحل بنائها. وهو من الأدوات المهمة في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم. ومن أمثله التطبيقية قال تعالى (وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ

يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكَمُ نُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (al-Qur'an, al-Mujadalah, 58:3) (3)

يقول سيد - رحمه الله: " وهناك أقوال كثيرة في معنى: نختار منها أنهم يعودون إلى الوطاء الذي حرّمه على أنفسهم بالظهار. فهذا أقرب ما يناسب السياق (Sayyid Qutub, t.th).

أقوال المفسرين:

اختلف أهل العلم في تفسير العود المذكور على أقوال: الأول: أنه العزم على الوطاء، وبه قال العراقيون أبو حنيفة وأصحابه، وروي عن مالك. وقيل: هو الوطاء نفسه، وبه قال الحسن، وروي أيضا عن مالك (al-Shawkani, 1414).

إذن فالعود لما قالوا هو: الوطاء، وهو مذهب مالك، قال: إن وطئها كان عودًا، وإن لم يطأها لم يكن عودًا (al-Wahidi, 1994)، وهو ما رجحه سيد في تفسيره حيث اعتمد على سياق وموضوع السورة.

النموذج الثامن: الترجيح حسب عموم الآية وسياقها.

الترجيح حسب عموم الآية وسياقها هو منهج تفسيري دقيق يُستخدم عند وجود تعارض ظاهري بين التفسير العام للآية وبين سبب نزول خاص أو معنى مخصوص، فيُنظر إلى سياق الآية وعموم ألفاظها لتحديد هل الحكم خاص بواقعة معينة، أم أنه عام يتجاوز سبب النزول والسياق الخاص. ومن أمثلته التطبيقية قال تعالى قوله تعالى: إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (1) (al-Qur'an, al-Kawthar, 103:1).

يقول سيد - رحمه الله-: (وردت روايات من طرق كثيرة أن الكوثر نهر في الجنة أوتيته رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولكن ابن عباس أجاب بأن هذا النهر هو من بين الخير الكثير الذي أوتيته الرسول، فهو كوثر من الكوثر! وهذا هو الأنسب في هذا السياق وفي هذه الملابسات (Sayyid Qutub, 2012).

أقوال المفسرين:

يقول الإمام الشوكاني: "والكوثر فوعِل من الكثرة، وصف به للمبالغة في الكثرة، مثل النوافل من النفل، والجوهر من الجهر، والعرب تسمي كل شيء كثير في العدد أو القدر أو الخطر كوثرًا، ومنه قول الشاعر: وقد ثار نفع الموت حتى تكوثرًا" (al-Shawkani, 1414).

عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: الكوثر: الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه " قال أبو بشر: قلت لسعيد: إن أناسا يزعمون أنه نهر في الجنة؟ فقال سعيد: «النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه» (al-Bukhari, 1422)، قال ابن كثير تعليقا على تفسير ابن عباس: (وهذا التفسير يعم النهر وغيره؛ لأن الكوثر من الكثرة، وهو الخير الكثير، ومن ذلك النهر كما قال ابن عباس، وعكرمة، وسعيد بن جبير، ومجاهد، ومخارب بن دثار، والحسن بن أبي الحسن البصري. حتى قال مجاهد: هو الخير الكثير في الدنيا والآخرة. (Ibn Kathir, t.th). والحق ما قال ابن عباس؛ لأنه يشمل كل ما جاء من روايات وأقوال بلغت أكثر من ستة وعشرين قولاً، وكلها ترجع إلى ما ذكر في تفسيره بالخير الكثير، وكأن ما جاء في الروايات أمثلة لهذا الخير الكثير، كقولهم: المراد بهم النبوة، أو القرآن، وقيل: أولاده، وقيل: علماء أمته. يتبين من كلام سيد قطب - رحمه الله، أن معنى الكوثر الخير الكثير لعموم الآية وسياقها.

النتائج والتوصيات:

أولاً: النتائج

وبعد رحلة مباركة في رحاب علم التفسير، وعبر تتبع قواعد الترجيح وأثرها في توجيه المعاني القرآنية، وقفنا على أهمية هذا العلم الجليل، ومدى الحاجة إليه لفهم كلام الله تعالى فهماً صحيحاً، بعيداً عن التكلف والانحراف عن مقاصد النصوص، وإليك أبرز النتائج:

- 1- كان سيد قطب، رحمه الله تعالى له وقفات تفسيرية تدل على وعيه بأهمية هذه القواعد، في تفسيره الشهير "في ظلال القرآن"، وإن كان يميل إلى الطابع الأدبي والدعوي، إلا وإن لم يكن ذلك بشكل منهجي صريح دائماً.
- 2- إن المتأمل في قراءة كتاب الله عز وجل، والمتطلع في كتب التفسير لمعرفة المعاني، يلحظ بعد التدقيق والمتابعة نماذج من قواعد الترجيح بالسياق يسردها بعض المفسرين عند تفسير هذه الآيات الكريمات فتوضح للقارئ المفهوم الصحيح لسياق وفهم مقصد معاني القرآن الكريم.
- 3- تأتي هذه السياقات القرآنية وهذه القوالب التفسيرية وتنوع، إما بحسب دلالة سياق القصة، أو لمعرفة الخلاف الوارد في سياق السورة، أو عن طريق الترجيح بالسيرة والسورة.
- 4- استعراض الأقوال التفسيرية حول الآية مع مناقشة هذه الأقوال والتوصل إلى خلاصة يوضحه السياق المتعلق بالآية.
- 5- أن قواعد الترجيح تعد من أهم الوسائل المنهجية لترجيح المعاني التفسيرية عند اختلاف الأقوال.

- 6- أن أكثر قواعد الترجيح تعتمد على مرجحات قوية مثل: السياق القرآني، وأسباب النزول، والقراءات، واللغة العربية.
- 7- أن الترجيح لا بد أن يقوم على ضوابط علمية دقيقة، وليس على الهوى أو التذوق الشخصي.
- 8- البرهان أن دراسة النماذج التطبيقية تعمق الفهم النظري وتبرز أثر الترجيح في استقامة المعنى القرآني.

ثانياً: التوصيات

- توجيه الباحثين إلى تكريس جهودهم في التنقيب والتوسع لمعرفة السياق ومدلولاته حسب ورود بعض الآيات والرجوع إلى التفاسير.
- معرفة تفسير بعض الآيات التي تعين على الفهم الصحيح لكتاب الله عز وجل، فيجب على من أراد أن يفسر القرآن الكريم أن يعتني بها عناية بالغة حتى يدرك انسجام القرآن الكريم بعضه ببعض.
- العناية بتدريس قواعد الترجيح ضمن مناهج علوم القرآن والتفسير في الجامعات والمعاهد الشرعية.
- جمع قواعد الترجيح المتناثرة في كتب التفسير وتجميعها بشكل منهجي واضح وميسر.
- العناية بالجانب العملي التطبيقي في تفسير القرآن عبر التدريب على الموازنة بين الأقوال التفسيرية.
- توجيه الباحثين وطلاب العلم إلى الالتزام بالضوابط العلمية في ترجيح المعاني، وعدم الاقتصار على مجرد الرواية دون تحقيق وترجيح.
- الحث على المزيد من الدراسات المتخصصة في قواعد الترجيح وتوسيع مجالات تطبيقها في فقه التفسير ومقاصد الشريعة.

References

- Abu al-Muzaffar, Mansur bin Muhammad bin 'Abd al-Jabbar ibn Ahmad al-Maruzi al-Sam'ani al-Tamimi al-Hanafi. 1997. *Tafsir al-Qur'an*. Riyadh: Dar al-Watan.
- Abu Zahrah, Muhammad bin Ahmad bin Mustafa bin Ahmad. t.th. *Zahrat al-Tafasir*. t.tp.: Dar al-Fikr al-'Arabiyy.
- Al-'Alimi, Mujir al-Din bin Muhammad al-Maqdisi al-Hanbali. 2009. *Fath al-Rahman fi Tafsir al-Qur'an*. t.tp.: Dar al-Nawadir.
- Al-'Iz bin 'Abd al-Salam. t.th. *Al-Isharah ila al-Ijaz fi Ba'd Anwa' al-Majaz*. Al-Qahirah: Dar al-Hadith.
- Al-Alusi, Shihab al-Din Mahmud bin 'Abd Allah al-Husayni al-Alusi. 1415. *Ruh al-Ma'ani fi Tafsir al-Qur'an al-'Azim wa al-Sab' al-Mathani*. Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah.
- Al-Bazzar, Abu Bakr Ahmad bin 'Amru bin 'Abd al-Khaliq bin Khallad bin 'Ubayd Allah al-'Atiki. 2009. *Musnad al-Bazzar al-Mashhur bi Ism al-Bahr al-Zahar*. Madinah: Maktabah al-'Uloom wa al-Hikam.
- Al-Bukhari, Muhammad bin Isma'il Abu 'Abd Allah al-Bukhari al-Ja'fi. 1422. *Sahih al-Bukhari*. t.tp.: Dar Tawq al-Najat.

- Al-Gharib, 'Abd al-Salam Ahmad al-Gharib. 2001. *Wazifah al-Surah al-Fanniyah fi al-Qur'an*. Halab: Faslat li al-Dirasat wa al-Tarjamah wa al-Nashr.
- Al-Harbi, Husayn bin 'Ali. 1415. Qawa'id al-Tarjih 'inda al-Mufassirin: Dirasah Nazariyyah Tatbiqiyyah. Tesis Sarjana. Kuliyah Usul al-Din, Jami'ah al-Imam.
- Al-Mazhari, Muhammad Thana' Allah. 1412. *Al-Tafsir al-Mazhari*. Pakistan: Maktabah al-Rashidiyyah.
- Al-Nasafi, Abu al-Barakat 'Abd Allah bin Ahmad bin Mahmud Hafiz al-Din al-Nasafi. 1998. *Tafsir al-Nasafi (Madarik al-Tanzil wa Haqa'iq al-Ta'wil)*. Beirut: Dar al-Kalam al-Tayyib.
- Al-Qurtubi, Abu 'Abd Allah Muhammad bin Ahmad bin Abi Bakr bin Farh al-Ansari al-Khazraji Shams al-Din. 1964. *Al-Jami' li Ahkam al-Qur'an*. Al-Qahirah: Dar al-Kutub al-Misriyyah.
- Al-Razi, Abu 'Abd Allah Muhammad bin 'Umar bin al-Hasan bin al-Husayn al-Taymi al-Razi al-Mulaqqab bi Fakhr al-Din al-Razi. 1420. *Mafatih al-Ghayb = al-Tafsir al-Kabir*. Beirut: Dar Ihya' al-Turath al-'Arabiyy.
- Al-Rumi, Fahd bin 'Abd al-Rahman bin Sulayman. 1418. *Ittijahat al-Tafsir fi al-Qarn al-Rabi' 'Ashar*. t.tp.: Mu'assasah al-Risalah.
- Al-Sabt, Khalid bin 'Uthman al-Sabt. 2005. *Mukhtasar fi Qawa'id al-Tafsir*. t.tp.: Dar Ibn al-Qayyim.
- Al-Shawkani, Muhammad bin 'Ali bin Muhammad bin 'Abd Allah al-Shawkani al-Yamani. 1414. *Fath al-Qadir*. Dimashq: Dar Ibn Kathir.
- Al-Tabari, Muhammad bin Jarir bin Yazid bin Kathir bin Ghalib al-Amili, Abu Ja'far al-Tabari. 2000. *Jami' al-Bayan fi Ta'wil al-Qur'an*. t.tp.: Mu'assasah al-Risalah.
- Al-Tha'alabi, Abu Zayd 'Abd al-Rahman bin Muhammad bin Makhluf al-Tha'alabi. 1418. *Al-Jawahir al-Hisan fi Tafsir al-Qur'an*. Beirut: Dar Ihya' al-Turath al-'Arabiyy.
- Al-Wahidi, Abu al-Hasan, 'Ali bin Ahmad bin Muhammad bin 'Ali al-Naysaburi. 1994. *Al-Wasit fi Tafsir al-Qur'an al-Majid*. Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah.
- Ibn al-Jawzi, Jamal al-Din Abu al-Faraj 'Abd al-Rahman bin 'Ali bin Muhammad al-Jawzi. 1422. *Zad al-Masir fi 'Ilm al-Tafsir*. Beirut: Dar al-Kitab al-'Arabi.
- Ibn Ashur, Muhammad al-Tahir bin Muhammad bin Muhammad al-Tahir bin 'Ashur al-Tunisi. 1984. *Al-Tahrir wa al-Tanwir (Tahrir al-Ma'na al-Sadid wa Tanwir al-'Aql al-Jadid min Tafsir al-Kitab al-Majid)*. Tunisia: Al-Dar al-Tunisiyyah li al-Nashr.
- Ibn Hajar, Ahmad bin 'Ali bin Hajar Abu al-Fadl al-'Asqallani al-Shafi'i. 1379. *Fath al-Bari Sharh Sahih al-Bukhari*. Beirut: Dar al-Ma'rifah.
- Ibn Kathir, Abu al-Fida' Isma'il bin 'Umar bin Kathir al-Qurashi al-Basri. t.th. *Tafsir al-Qur'an al-'Azim*. t.tp.: Dar Tayyibah li al-Nashr wa al-Tawzi'.
- Ibn Taymiyyah, Ahmad bin 'Abd al-Halim bin 'Abd al-Salam bin 'Abd Allah bin Abi al-Qasim bin Muhammad. 1980. *Muqaddimah fi Usul al-Tafsir*. Beirut: Dar Maktabah al-Hayat.
- Majma' al-Lughah al-'Arabiyyah bi al-Qahirah (Ibrahim Mustafa, Ahmad al-Ziyat, Hamid 'Abd al-Qadir & Muhammad al-Najjar). t.th. *Al-Mu'jam al-Wasit*. t.th.: Dar al-Da'wah.
- Majmu'ah min al-'Ulama bi Ishraf Majma' al-Buhuth al-Islamiyyah bi al-Azhar. t.th. *Al-Tafsir al-Wasit li al-Qur'an al-Karim*. t.tp.: al-Hay'ah al-'Amah li Shu'un al-Matabi' al-Amiriyyah.
- Muhammad al-Amin bin 'Abd Allah al-Armi al-'Alawi al-Harari al-Shafi'i. 2001. *Tafsir Hada'iq al-Ruh wa al-Rayhan fi Rawabi 'Ulum al-Qur'an*. Lubnan: Dar Tawq al-Najat.
- Muhammad al-Amin bin Muhammad al-Mukhtar bin 'Abd al-Qadir al-Janki al-Shanqiti. 1996. *Daf' Iham al-Idtirab 'an Ayat al-Kitab*. Al-Qahirah: Maktabah Ibn Taymiyyah.
- Muhammad al-Amin bin Muhammad al-Mukhtar bin 'Abd al-Qadir al-Janki al-Shanqiti. 1995. *Adwa' al-Bayan fi Idah al-Qur'an bi al-Qur'an*. Lubnan: Dar al-Fikr li al-Tiba'ah wa al-Nashr wa al-Tawzi'.

- Muhammad Ra'fit Sa'id. 2002. *Tarikh Nuzul al-Qur'an*. Mesir: Dar al-Wafa'.
- Sa'id Hawwa. 1424. *Al-Asas fi al-Tafsir*. Al-Qahirah: Dar al-Salam.
- Sayyid Qutub Ibrahim Husayn al-Sharibi. 1412. *Fi Zilal al-Qur'an*. Beirut: Dar al-Shuruq.
- Muhammad Habannakah al-Maydani. 1989. *Qawa'id al-Tadabbur al-Amthal li Kitab Allah 'Azza wa Jalla*. t.tp.: Dar al-Qalam.
- Al-Shatibi, Abu Ishaq Ibrahim bin Musa bin Muhammad al-Lakhmi. 1997. *Al-Muawafaqat*. t.tp.: Dar Ibn 'Afan.